Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 41:3 (2006)

زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم للشيخ محمد حبيب اللّه الشنقيطي

سعد الدين منصور محمد

تمهيد: مكانة الصحيحين عند أهل الحديث:

السنة النبوية المطهّرة، هي أقواله صلى اللّه عليه وسلم، وأفعاله، وتقريراته. ومجموع الأحاديث التي تدور عليها أحكام الفقه نحو خمسمائة حديث، كما ذكرها ابن قيم الجوزية في كتابه **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. والسنة تلي الكتاب العزيز في المرتبة، وهي معمول بها عند أهل العلم ـ ولو خبر آحاد ـ لقوله تعالى: ﴿**وَمَآ آتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا**﴾(١) وقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوْحَى**﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيْرًا**﴾(٣). وللسنة عدة أوجه في بيان القرآن الكريم منها بيان ماكان مجملا، كبيان الصلاة وأوقاتها وعدد ركعاتها، والزكاة والحج، قال تعالى: ﴿**اَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُوْمَاتٌ**﴾(٤) بينما بيّن الرسول صلى اللّه عليه وسلم ذلك في قوله: "خذوا عني مناسككم"(٥) وتوضيح ما أشكل فهمه، كتفسير قوله تعالى: ﴿**حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ**

١- سورة الحشر، الآية: ٧.

٢- سورة النجم، الآية: ٣.

٣- سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

٤- سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

٥- أخرجه البخاري في **صحيحه**، ١-٨،١٦٢-١١، ٩-١٠٧، والبيهقي في **السنن الكبرى**، ٢-٣٤٥.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[٦] فقد أوضحه قوله صلى الله عليه وسلم: "إنه بياض النهار وسواد الليل" وتخصيص ما كان عاما، وتقييد ماكان مطلقا، كقوله تعالى في شأن السرقة: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوْآ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا**﴾[٧] فبيّنت السنة أن قطع اليد من الرسغ، وهو مفصل الكف، وأنها اليد اليمنى، وخصت السنة السارق الذي تقطع يده بسارق النصاب فأكثر، بشرط أن يكون المسروق في حرز مثله.

قد بينت السنة معاني بعض الكلمات القرآنية كقوله تعالى: ﴿**غَيْرِ الْمَغضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَلَاالضَّآلِّيْنَ**﴾[٨] فبينت السنة أن المغضوب عليهم اليهود، وأن الضالين النصارى. وأوضحت السنة النسخ، أن آية كذا نسخت بكذا، أو أن تكون السنة ناسخة لحكم ثبت بالقرآن على من يجوز نسخ الكتاب بالسنة. وكثيراً ما تأتي السنة موافقة لما جاء في القرآن من باب التأكيد والتعضيد والتأييد، كقوله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ**﴾[٩]. يؤكدها قوله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله)[١٠]. وقد تبسط السنة ما في القرآن من إيجاز كقوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوْا**﴾[١١] حيث وردت القصة عن الصحابة الثلاثة: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، ببسط وإسهاب في كتب السنة المشرفة[١٢]. وقد ترد السنة على طريق الاستقلال كحديث جريج العابد[١٣].

ولقد اعتنى العلماء قديما وحديثا بالصحيحين ـ **صحيح البخاري** و **صحيح مسلم** ـ وما زالوا يعيرونهما أهمية، فلم ينل كتاب هذه الأهمية والعناية لديهم. اعتناء لم يكن له مثيل لا من قبل ولا من

٦- سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

٧- سورة المائدة، الآية: ٣٨.

٨- سورة الفاتحة، الآية: ٧.

٩- سورة النساء، الآية: ١٩.

١٠- أخرجه مسلم في **صحيحه** في كتاب الحج رقم ١٤٧، والترمذي في **جامعه** رقم ١١٦٣، وأبو داود في **سننه**، رقم ١٩٠٥.

١١- سورة التوبة، الآية: ١١٨.

١٢- **صحيح البخاري**، ٦٤، كتاب المغازي، و**مسلم**، ٤٩، كتاب التوبة، باب توبة كعب.

١٣- **صحيح البخاري**، ٦٠، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِيْ الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا**﴾.

بعد، من بعد كتاب الله عزوجل، وهذا واضح من خلال المؤلفات والشروح عليهما إضافة إلى المستخرجات والمستدركات والتعليقات والملحقات. فمن الشروح مثلا التي اعتنت **بصحيح البخاري**: **فتح الباري** لابن حجر العسقلاني، و **إرشاد الساري** للقسطلاني، و **عمدة القاري** للعيني، ومن الكتب المخصصة لرجال البخاري **أسماء رجال صحيح البخاري** لأبي نصر أحمد بن محمد الكلاباذي، و **التعديل والتجريح لما خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح** لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي. أما الكتب المؤلفة على **صحيح مسلم** فمنها: **المعلم بفوائد مسلم** لأبي عبد الله محمد بن علي المازري، **وإكمال المعلم بفوائد مسلم** للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، **والمنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج**، وهو المعروف بشرح النووي للإمام يحي بن شرف النووي. ومن الكتب التي اعتنت برجال **صحيح مسلم: رجال صحيح الإمام مسلم** لأحمد بن علي بن منجويه و **رجال البخاري ومسلم** لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني. ومن كتب المستخرجات **المستخرج** لأبي عوانة. ومن كتب المستدركات **المستدرك على الصحيحين** للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن البيع النيسابوري. ويقول العلامة أبو إسحاق الإسفراييني وهو يتحدث عن مكان الصحيحين: "أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها ولا يجعل الخلاف فيها بحال وإن حصل فذاك اختلاف في طرقها ورواتها، فمن خالف حكمه خبراً منها وليس له تأويل سائغ للخبر نقض حكمه لأن الأخبار تلقتها الأمة بالقبول. فالصحيحان لهما مكانة كبيرة عند المسلمين"(١٤).

التعريف بصاحب الكتاب:

هو العلامة المحدث الحافظ أبو المواهب محمد حبيب الله بن الشيخ سيدي عبد الله بن مايأبى. لقبه ابن مايأبى وعرف بهذا اللقب لسخائه وجوده وكرمه. وينسب إلى قبيلة جكنى وهي قبيلة عربية عاشت ببلاد شنقيط. وأنجبت هذه القبيلة علماء أجلاء منهم الشيخ المختار بن بون صاحب التصانيف النافعة، والشاعر الإمام بن أحمد زيدان وغيرهم من العلماء.

مولده:

ولد سنة خمس وتسعين بعد المائتين والألف ١٢٩٥هـ. (١٢٩٥-١٣٦٢هـ/١٨٧٨-١٩٤٤م) عالم بالحديث.

١٤- انظر: إبراهيم ملا خاطر، **مكانة الصحيحين**، المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة، ط ١، ١٤٠٢هـ، ص ٤٤.

دراسته وشيوخه:

درس القرآن والعلم على عدد من الشيوخ منهم الشيخ محمد الأمين بن محمود بن الحبيب الجكني. ودرس فقه مذهب الإمام مالك فدرس على يد الشيخ أحمد بن محمد بن الهادي الشنقيطي ثم درس على يد الشيخ سيدي المختار بن أحمد بن الهادي وتعلم منه فنون القضاء، وأجازه شيخ قراء الشام. وأجازه شيخ القراءات بمكة الشيخ محمد محفوظ الترمسي المكي.

رحلاته:

ولد وتعلم بشنقيط، وانتقل إلى مراكش فالمدينة المنورة، واستوطن مكة، ثم استقر بالقاهرة، مدرسا في كلية أصول الدين بالأزهر، وتوفي بها.

مؤلفاته:

مما كتبه الشيخ هذا الكتاب الذي بين أيدينا **زاد المسلم** وشرحه **فتح المنعم**، وحاشيته **المعلم بمواضع أحاديث زاد المسلم**. أي هذه ثلاثة كتب في كتاب واحد.

ومما كتبه **دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك** وهو عبارة عن نظم فيه ٩٢٢ بيتا، وشرحه شرحا كبيراً سمّاه **تبيين المدارك لنظم دليل السالك**، واختصره في كتاب آخر سماه **إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك**.

ولعل أهم ما تناوله في كتابه هذا (دليل السالك) مواضع منها: بيان فضل **موطأ الإمام مالك** على **صحيح البخاري**. وذكر من المسائل جواز استدلال المقلد بالقرآن والحديث وتحريم الاستنباط على غير المجتهد ووجوب تقليد القاصر عن رتبة الاجتهاد لأحد الأئمة الأربعة.

- ومن كتبه منظومة في علم البيان **فاكهة الخوان في نظم أعلى درر البيان**.
- ومنها منظومته **هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث**.
- ومنها كتابه **تزيين الدفاتر بمناقب ولي الله الشيخ عبد القادر** ط بمصر.
- **الفتح الباطني والظاهري في نثر الورد القادري** ط بمصر.
- **كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب** ط بمصر.

وله مؤلفات أخرى في علوم الحديث والقرآن والفقه وغيره[١٥].

- **إيقاظ الأعلام في رسم المصحف** ط .

١٥- انظر: محمد حبيب الله الشنقيطي، **زاد المسلم**، دار إحياء الكتب، بيروت، ج ٥، ص ٥٤٩-٥٥٣.

- **إضاءة الحالك** ط .
- **أصح ما ورد في المهدي وعيسى ط .**
- **إكمال المنة في سند المصافحة**(١٦).
- **الخلاصة النافعة** ط. في الحديث المسلسل بالأولية.
- ومما كتبه الشيخ: **الصحابيات وأحداث السيرة**. ط دار المحمدي

عقد مناظرة بين علماء مكة وعلماء نجد في عهد الملك عبد العزيز كان ذلك في ١٣٤٣/٠٥/١٥هـ من ضمن وفد علماء الحرم كان الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي.

ذكرت ذلك جريدة الوطن، أم القرى العدد ٢، ١٣٤٣/٥/١٥هـ.

وفاته:

سنة ١٩٤٤م. مزيدا من المصادر والمراجع **كالأعلام** للزركلي و**معجم المؤلفين** لكحالة.

منهجه في هذا الكتاب:

ذكر في هذا الكتاب ألف حديث ومائتين، اتفق على إخراجها الشيخان البخاري ومسلم.

وقد اختار الشيخ ما اتفق عليه البخاري ومسلم في كتابيهما **الصحيحين**. وهي متصلة الأسانيد. ووقع اختيار المؤلف للمتفق عليه لأنه من أعلى أنواع الصحيح. والكتاب مرتب على حروف المعجم وذلك حتى يسهل الاطلاع عليه والانتفاع به إلا حديث "إنما الأعمال بالنيات" فقد بدأ به الصحيح على سبيل اليمن والبركة وهذه عادة العلماء الأقدمين كالإمام البخاري رحمه الله تعالى.

لم يراع فيه المؤلف الترتيب المعجمي، ولم يذكر أسانيد الأحاديث واكتفى بذكر الصحابي راوي الحديث فحسب. وراعى الترتيب في بقية الأحاديث أول الحديث فما بعده. ثم ذكر الحديث المحلى بأل في آخر كل حرف.

أما خاتمة الكتاب فقد شملت ثلاثة أنواع: النوع الأول: ما صدر بلفظ كان من شمائل النبي صلى الله عليه وسلم. والنوع الثاني: ما جاء مصدراً بلفظ لا. والنوع الثالث: ما صدر بلفظ نهى(١٧).

١٦- الزركلي: **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٤، ١٩٩٩م.

١٧- انظر: **زاد المسلم**، ١/٢-٦.

الهدف من الكتاب:

يمكن تلخيص ذلك في الآتي:

١- حاول المؤلف الجمع بين أحاديث الشيخين لأنها من أعلى مراتب الصحيح.

٢- ترتيب هذه الأحاديث على حروف المعجم، حتى يسهل على القارئ الاطلاع عليها، حتى ينتفع بها.

٣- خدمة لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وذلك بالتأليف حولها ونشرها وبيانها.

نماذج من الكتاب:

وهو يرقم الأحاديث في أعلى الصفحة ويخرجها بعد ذلك في أسفل الصفحة حيث يذكر الكتاب الذي أخرج منه الحديث في الصحيحين.

فمن أحاديثه وشرحه التي أوردها في كتابه: شروح الشيخ عامة للأحاديث مختصرة حيث بعد ترتيبه للأحاديث على حسب حروف المعجم وختمه بلا وكان من شمائله صلى الله عليه وسلم. يبين الكلمات وكثيراً ما يحيل إلى مصادر اللغة **كالقاموس المحيط** للفيروزآبادي، وغيره ثم يرجع إلى شرح الحديث لمصادر أصلية كالقسطلاني في شرحه على البخاري **إرشاد الساري**، والنووي في شرحه لمسلم **المنهاج**.

ثم يخرج الحديث فيقول مثلا رواه البخاري أي أخرجه البخاري في كتاب كذا في باب كذا[١٨] حديث الكمأة. ثم يذكر مسلم في كتاب كذا في باب كذا.

وأحيانا يشرح الشيخ الحديث شرحا وافيا، وهذا في كثير من الأحاديث كحديث فضل الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم[١٩]، حيث تناول مباحث اللغة في الحديث واستشهد بما في القرآن والحديث وذكر بعض الأحاديث الأخرى التي تعضد من رأيه.

وفي حديث الصدقة حيث نقل كلام الإمام النووي في شرحه لمسلم بنصه في شرحه لهذا الحديث وذكر آراء الأئمة في وصول ثواب الصدقة وقراءة القرآن للميت خاصة أهل المذاهب المتبوعة كالشافعية، والحنابلة، والمالكية، والأحناف، وذكر تفصيلا طيبا في صدقة الولد عن أبويه بعد موتهما

١٨- انظر: **زاد المسلم**، ٩٤٠/١.

١٩- **زاد المسلم**، ٢٢٧/١.

وحجه لهما وصلة رحمه، وكل هذا من البر وأوجه الإحسان للوالدين. واستشهد الشيخ ببعض الأشعار كقول بعض الفضلاء[٢٠].

ووالديك بر في قبريهما تستكمل الباقي من بريهما
فاستغفرن ولتدعون الأحدا لوالدين أنجزن ما وعدا
وواخين من واخياه وصلا من وصلا برهما تستكملا

ومما أكثر في شرحه حديث أم زرع[٢١]. وهو أصلا حديث طويل ألف بعضهم فيه كتابا كالقاضي عياض، و د. الطاهر الدرديري وقد شرح الشيخ الحديث شرحا وافيا مبينا أحكامه وغريب لغته. ومما نظمه شعرا في ذلك قوله[٢٢]: وقد (أشرت) إلى ما وصفت به كل واحدة زوجها على سبيل الإيجاز ليعلم من ذممن أزواجهن منهن ومن مدحتهم بقولي:

من عجب نادرة النساء في وصف أزواج بالاستقصاء
في خبر الفتاة أم زرع من ذكرت في قول حلف الشرع
عليه أكمل الصلاة وعلى أزواجه وآله أولى العلى
أولى النساء قالت وقولها جلل في ذم زوجها بنشر ما فعل
زوجي في السر كلحم من جمل غث بلا نفع على رأس جبل
ثانية من لا تبث خبره لأنها تخاف أن لا تذره
إن ذكرته قد أبانت عجره كما تبين من ذاك بجره
ثالثة من زوجها العشنق بكلمة خفيفة تطلق
رابعة من لم تخف سآمة إذ زوجها كالليل في تهامة
خامسة من مدحت من قد فهد وليس يسأل عن الذي عهد
سادسة من رزئت عن كلف تجث أكل لا به عرف
سابعة زوج العياب الذي جمع كل الداء والقول البذي

٢٠- زاد المسلم، ٢٩٩/١.

٢١- زاد المسلم، ٣٢٩/١.

٢٢- زاد المسلم، ٣٢٦/١.

ثامنة من زوجها كالأرنب ... في المس والريح كريح الزرنب
ثم رفيعة العماد بسبب ... رفع عماد زوجها الذي انتخب
تاسعة النسوة ثم العاشرة ... من لفاخر الخليل ناشرة
حادية العشرة أم زرع ... مادحة الزوجين ثم الفرع
لكنها مشوقة بالأول ... أبي زرع كريم العمل
قد استفاد العلماء مما ارتسم ... عنها فوائد بها الشرع حكم

حيث يعلم من خبر هؤلاء النسوة أن من ذمت منهن زوجها خمس منهم: الأولى، والثانية، والثالثة، والسادسة، والسابعة. ومن مدحت منهن زوجها ست: الرابعة، والخامسة والتاسعة، والعاشرة، والحادية عشر، وهي أم زرع والتي اشتهرت بهذا الحديث(٢٣). ثم ذكر الفوائد المستنبطة من هذا الحديث فقال في نهاية شرحه: "وقد لخصت زبدة الجمع في هذه الحاشية مع غاية الإيضاح بحسب الإمكان مع ضيق الوقت وشغل الخاطر بالأمراض والعوائق"(٢٤).

ومن أمثلة ما شرحه وأكثر منه: حديث الكبائر(٢٥).

- حيث بين آراء العلماء في تحديد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة.
- ثم بين أوجه اختلاف العلماء في ضبط الكبيرة.
- حيث ذكر بعض كتب من استند عليه كالواحدي في **تفسيره**. ونقل عن الغزالي في كتابه المسمّى **البسيط**، وابن الصلاح في **فتاويه**، والشيخ أبي محمد بن عبد السلام في كتاب **القواعد**.
- ثم عدد أنواعا في الكبائر. حتى انتهى من الشرح أحال الطالب إلى مصادر الحديث التي أخرجته بجانب البخاري في كتاب الشهادات والأدب والاستئذان، ومسلم في كتاب الإيمان.

ومن أمثلة ذلك حديث الشعر(٢٦): "لأن يمتلئ جوف رجل قيحا خيرا له من أن يمتلئ شعرا" حيث بين فيه أغراض الشعر وفوائده وحكمه ومواعظه وجيده ورديئه، وذكر نماذجا من شعر

٢٣- **زاد المسلم**، ٣٢٧/١.
٢٤- **زاد المسلم**، ٣٢٩/١.
٢٥- **زاد المسلم**، ٣٣٣/١.
٢٦- **زاد المسلم**، ٣٥٥/١ إلى ٣٨٧.

الصحابة عليهم الرضوان كسيدنا عمر وسيدنا علي وسيدنا حمزة ومعاوية والحسين والعباس وأبي سفيان وابن الحارث عبد الله بن الزبير بن العوام.

ومن أشعار الإمام محمد ابن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى حيث أطال الشيخ في الأدلة على ذم الشعر المنهي عنه، ولمسيس الحاجة ببيان حكم الشعر المحمود شرعا.

وبيان أنه من شيم السلف الصالح إن كان مشتملا على مكارم الأخلاق والحض عليها كالحض على طلب العلم واقتناء كتب العلم.

ـ ومن أسباب الغنى اكتساب الكتب النافعة وقد ذكر الشيخ حين تكدر الزمان به وكثر الإلحاد، وكثرت دعوى العلم لمن لا يستحق أن يسمى طالب علم فضلا عن كونه عالما وفساد عقائد أهل الزمان بسبب مخالطة الأجانب ومن في حكمهم من أهل الإلحاد(٢٧).

إننا في زمان لو أن فيه ... أعلم الناس لم يكد يتكلم
قد علا فيه كل نذل لئيم ... فتأدى جو السماء وأظلم
وادعى العلم كل فدم بليد ... قد مضى العمر وهو لم يتعلم
وتوالت على الأديب الدواهي ... سائر الدهر يا رحيم لنا ارحم
أهينت عقائد الحق فيه ... ربنا اصرف عنّا عذاب جهنم(٢٨)

ثم قال: إن الشعر وإن كان حسنه حسنا وقبيحه قبيحا كسائر الكلام فلا ينبغي لأهل الفضل الإكثار منه دائما ولا الاعتناء بغير شعر الحكم والأدب منه ولذا قال الإمام الشافعي:

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

ثم من النماذج التي شرحها، شرحه لحديث: "لتتبعنّ سنن من كان قبلكم"(٢٩) حيث ذكر في شرح الحديث بعد بيان غريبه حيث نقل عن ابن بطال أنه قال: أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع في الأمم قبلهم(٣٠).

ثم ذكر الشيخ رحمه الله أن هذا الحديث:

٢٧- **زاد المسلم**، ٣٧٦/١.

٢٨- المصدر السابق، ٣٧٦/١.

٢٩- **زاد المسلم**، ٣٨٠/١.

٣٠- **زاد المسلم**، ٣٨١/١.

١- هو من أعلام النبوة، حيث وقع معظم ذلك بالديار المصرية.

٢- فيه معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- حتى لبس البنطلون الذي فشا في الأمة التركية أولا ثم انتشر في أكثر البلاد اليوم مع تحديده للعورة، قال وإن كان جائزاً إلا أنه شديد الكراهة شرعا لتحديده للعورة.

٤- ثم أفرغ جام غضبه على الموضة الجديدة وعنى بها تقصير الثياب عند النساء إلى الركب أو ما فوقها مع الضيق وكون الثوب رقيقا شفافا تظهر منه بشرة العورة، وقصر الشعر تشبها بالنصرانيات وهذا محرم شرعا.

٥- بل لا تصح إمامة رجل أذن لزوجته وأخته وبنته الخروج بهذه الشعور ولا الشهادة له ولا قسط من الزكاة إن كان فقيراً.

- وذكر أن التستر خير للجميلات والذميمات حتى لا يتضحن وذكر أن نساء العرب الجاهليات كن يتسترن، قال الشاعر:

وكنت إذا زرت ليلى تبرقعت وقد رابني الغداة سفورها

- وقال عمر بن أبي ربيعة في مدح النساء:

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

- وكذلك طول الشعر هو زينة نساء العرب قال امرؤ القيس:

وفرع يغطي المتن أسـود فـاحم أثبت كقنو النخلة المتعثكل

- وذكر أنه بين ذلك خشية كتمان العلم وأشار إلى قول ابن خلدون أن الأمة المغلوبة تتبع الغالبة.

- هذه بعض النماذج سقناها في شرح الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي لبعض الأحاديث مما يدل على تبحره وعلمه الفائض الدفاق ومع رجوعه للمصادر والمراجع الأصلية والفرعية مع ربطه للعلم بما يعيشه من حياة ونتمنى أن يقتفي علماؤنا آثاره وطلبتنا طريقه في العلم والعمل والبلاغ والدعوة وحب النبي صلى الله عليه وسلم ونشر سنته وتجنب البدع.

موارده في الكتاب:

كان اعتماد الشيخ على:

١- متن الصحيحين للبخاري ومسلم دون تقليد لمن سبقه كالحافظ الحميدي أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأندلسي مات سنة ٤٨٨هـ في ذي الحجة.

وقد قال رحمه الله في خاتمة كتابه: هذا آخر ما قصدنا إليه من الجمع بين الصحيحين، وتمييز ما اتفق عليه من المتون المخرجة فيهما، وما انفرد به أحدهما عن الآخر، مستقصى على ما شرطناه مرتبا على ما بدأنا به وبيناه، مع الاختصار المعين على الحفظ والتذكار(٣١).

ثم ذكر إسناده للكتابين. وأفرد الجزء الأخير للنساء من الصحابيات الراويات.

٢- وممن جمع الصحيحين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأسدي اطلع عليه في دار الكتب المصرية.

٣- والصاغاني صاحب **مشارق الأنوار**.

وممن كتب في الجمع بين الصحيحين: الشيخ يوسف النبهاني (١٢٦٥ ـ ١٣٥٠هـ) له كتاب سمّاه **منتخب الصحيحين من كلام سيد الكونين**. دار الفكر بيروت ١٩٨٣م.

حيث اطلع المؤلف على جمع الجوامع والجامع الصغير وانتخب منها هذه الأحاديث، وسمى كتابه **منتخب الصحيحين من كلام سيد الكونين صلى الله عليه وسلم**. اشتمل على ٣٠١٠ حديث ومنها آثار عن الصحابة ورتبه على حروف المعجم.

ثم ذكر المحلى بأل، ورمز للبخاري بحرف الخاء و(م) لمسلم و (ق) لما اتفقا عليه.

وقد اشتمل الكتاب على أحاديث العقائد والأحكام والحكم والترغيب والترهيب والشمائل والفضائل والمعجزات والكرامات المتعلقة به صلى الله عليه وسلم وبغيره من الأنبياء والمرسلين، والصحابة، والتابعين، والقبور، والبعث والنشور، وأحوال القيامة، وجعل عليه تذييلا وتعليقا في مجلد واحد حيث بلغ عدد صفحاته ٦٠٦ صفحة.

- ترجم الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي في كتابه لكثير من الصحابة رواة الحديث النبوي.
- بدأ الكتاب بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وختمه بحديث عبد الله بن عمر وهو في ذلك يتمنى أن ينال القبول من الله تعالى.
- في الكتاب صور حية، توضح حرص الصحابة على السنّة، واجتهادهم في تلقيها.
- اهتمام النساء بالرواية والأخذ من النبي صلى الله عليه وسلم.
- يذكر الشيخ أوجه اللغة ويرد على من خالفه بالحديث كحديث "يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن: بما يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير.." (٣٢) قال

٣١- محمد بن الفتوح الحميدي: **الجمع بين الصحيحين**، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ٣٢١/٤.

٣٢- **زاد المسلم**، ٢٨٤/٤.

معشر: كل جماعة أمرهم واحد وفيه رد على ثعلب عالم اللغة حيث خصه بالرجال إلا أن أراد بالتخصيص حالة إطلاق المعشر لا تقييده كما في الحديث واستشهد بالإمام النووي حيث قال: المعشر الجماعة المشتركة في أمر، فالإنسان معشر، والجن معشر، والنساء معشر، والشياطين معشر.

قلت قال تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوْا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوْا لاَ تَنْفُذُوْنَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ**﴾(٣٣).

- وقد نقل الإمام شرحه من كتاب **المصابيح**.
- ويذكر الشيخ المستفاد من الأحكام في الحديث الذي يشرحه.
- أحياناً يذكر للحديث سببا إن كان له سبب. كما في حديث الرجل الذي استعمله على خيبر وهو الصحابي الجليل سواد بن غزية(٣٤).
- ويذكر آراء الأئمة خاصة المالكية، والشافعية، والأحناف، والحنابلة.

ومن المباحث اللغوية استشهاده بأشعار **الألفية** لمحمد بن مالك.

ففي حديث بلال: "يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة؟ قال: ما عملت عملا أرجى عندي، أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي".

قال ما عملت عملا أرجى عندي من (أني) لأن القاعدة النحوية أن أفعل التفضيل لا بد من صلته بمن قال ابن مالك في **ألفية**(٣٥):

وأفعل التفضيل صله أبدا تقديرا أو لفظا بمن إن جردا

وفي الكتاب إشارات إلى علوم الحديث ومصطلحه حيث في شرحه لحديث نزول سورة تبت يدا أبي لهب وتب، قال: إن هذا الحديث مرسل لابن عباس لأنه أسلم بالمدينة، وهذه القصة كانت بمكة وكان ابن عباس حينها لم يولد أو كان طفلا. وفي **عمدة القاري** للعلامة العيني الجزم بأنه ولد في مكة قبل الهجرة بثلاث سنين، وعلى كل حال فمرسل الصحابي متصل عند أرباب هذا الفن، لأن الغالب فيه أن يكون مرويا عن الصحابة وأشار إلى ذلك صاحب **طلعة الأنوار**:

ومرسل الأصحاب قل متصل أو غالبا من الصحابي يحصل

٣٣- سورة الرحمن، الآية: ٣٣.
٣٤- **زاد المسلم**، ٢٢٢/٤.
٣٥- **زاد المسلم**، ١٩٨/٤-١٩٩.

ومن الفوائد التي ساقها الشيخ حبيب الرحمن في كتابه من ناحية علم المصطلح هذا الحديث من أفراد البخاري أي لم يكرره إذ لم يخرجه إلا في هذا الموضع فليس معنى قول أهل الحديث في شرح **صحيح البخاري** مثلاً هذا من أفراده أنه انفرد به عن مسلم وغير مسلم من أصحاب الكتب الستة، ومسلم أخرج هذا الحديث في كتابه **الصحيح**، وقد نظم في ذلك شعراً قائلاً:

وقول أهل الفن من أفراده أي لم يكرره لدى إسناده
فليس معنى ذلك أنه انفرد به عن الغير فذلك يرد

ذكر ذلك في حديث جابر في كتاب الصلاة، باب يا جابر إذا كان الثوب ضيقا، ومسلم في آخر كتاب الزهد، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر.

في حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث: "يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبه، قال: لبيد بن الأعصم" الحديث(٣٦).

حيث رد الشيخ على من أنكر هذا الحديث، حيث قالوا بأنه يحط من شأن النبوة، بل هو من قبيل المرض الذي لا يحط من شأن النبوة، وفيه رفعة لدرجة النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة، وقصة موسى وسحرة فرعون جاءت في هذا مثل هذا قال تعالى: ﴿**يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**﴾(٣٧) حيث ثبته الله ﴿**قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِيْ يَمِيْنِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوْا إِنَّمَا صَنَعُوْا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوْآ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُوْنَ وَمُوْسَى**﴾(٣٨).

الأمر الثاني:

أن هذا حديث صحيح وهو من أعلى درجات الصحيح لاتفاق الشيخين على إخراجه، غير مصادم لنص القرآن حيث قال تعالى: ﴿**إِنْ تَتَّبِعُوْنَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوْرًا**﴾ وهذا إخبار عن الكفرة. ورد الشيخ حبيب الله على الشيخ أبي بكر الجصاص الحنفي حيث قال في تفسيره للآية: ﴿**وَاتَّبَعُوْا مَا تَتْلُوْا الشَّيَاطِيْنُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**﴾ حيث قال: زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر، وأن

٣٦- **زاد المسلم**، ٤/٢٢٠-٢٢٩.

٣٧- سورة طه، الآية: ٦٦.

٣٨- سورة طه، الآية: ٦٦-٧٠.

السحر عمل فيه، وقال: إن ذلك من وضع الملحدين، وأن هذا القول يؤدي إلى إبطال المعجزات. وقال الشيخ حبيب الله أن الشيخ لم يطلع على الحديث وهو صحيح في البخاري ومسلم، له حكم التواتر كما صرح بذلك ابن الصلاح والحافظ العراقي زين الدين وابن حجر والعيني والسيوطي والقسطلاني وغيرهم. حيث سحر صلى الله عليه وسلم ومرض مدة، ثم أطلعه الله عليه فأخبر أصحابه بمحل السحر فوجدوه. وباء عمل الساحر ﴿**وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**﴾ الآية.

كما أن الروايات الأخرى دلت على أن السحر تسلط على جسده الشريف ولم يتسلط على عقله كما ذكر ذلك القاضي عياض في كتابه **الشفاء في حقوق المصطفى** والنووي في شرح مسلم. وأثبت الشيخ وجود السحر واستشهد بأقوال العلماء كالمازري والقرطبي.

نجد بعض الأخطاء المطبعية في الكتاب ففي الجزء[٣٩] حيث قال: "الفرق بين الولي والساحر هو اتباع الولي لحكم الشرع فكتب الولد"[٤٠]. حيث تكلم الشيخ عن أحكام السحر وعقوبته مستشهداً بأقوال سلف الأمة الصالحين من العلماء العاملين كالمازري والباجي وابن عرفة ومالك والأبي وعياض بن موسى اليحصبي.

ولعل أكثر رجوعه إلى كتب اللغة كان **للمصباح المنير** للفيومي **وللقاموس المحيط** للفيروزآبادي، انظر حديث: "يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام"[٤١]. وفي حديث: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[٤٢].

ذكر أحكام النكاح وذكر استحباب النظر إلى المخطوبة وكذا نظر المخطوبة للخاطب قبل النكاح وذكر عددا من الآثار الدالة على ذلك وذكر الأغراض التي تنكح لأجلها المرأة للمال وللجمال والحسب والدين فاظفر بذات الدين تربت يداك. لأن المرأة الصالحة تجلب لزوجها خير الدنيا والآخرة، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿**وَأَنكِحُوْا الْأَيَامَىْ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِيْنَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِنْ يَكُوْنُوْا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ**﴾. واستشهد بما جاء عن الإمام الغزالي في **إحياء علوم الدين** حيث قال أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالنظر إلى المخطوبة دليل على مراعاة الجمال،

٣٩- **زاد المسلم**، ٢٢٨/٤.

٤٠- **زاد المسلم**، ٢٢٨/٤.

٤١- **زاد المسلم**، ٢٣٥/٤.

٤٢- **زاد المسلم**، ٢٦٦/٤.

ويستحب أن تكون المرأة بالغة كما نص على ذلك الإمام الشافعي، ونجد بعض البلاد تنص على ذلك كدولة ماليزيا إلا لمصلحة كتزويجه صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها وهى بنت ست سنين. ومن أوصاف المرأة أن تكون غريبة حتى لا يكون الولد ضاويا عاقلة عالمة. وتطرق لموضوع زواج المعسر وأنه جائز خشية أن يقع في الحرام بقوله تعالى: ﴿**إِنْ يَكُوْنُوْا فُقَرَآء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ**﴾ الآية. لأن الإعسار في الحال لا يمنع التزويج لاحتمال حصول المال في الحال وضعف حديث "تزوجوا فقراء يغنكم الله" وقال لا أصل له.

وأشار إلى حقوق المرأة على الزوج وحقوق الزوج على المرأة على سبيل الاختصار قلت: ولو علم الناس في زماننا هذه الحقوق وعملوا بمقتضاها لما حصلت حالات الطلاق الكثيرة التي تراها ونشهدها الآن. ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وصى بالنساء خيرا "استوصوا بالنساء خيراً، فإنهم عندكم عوان ليس تملكون منهن شيئاً غير إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، إن لكم من نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن" هذا الحديث عند ابن ماجة في **سننه** وقد ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع. عن سليمان بن عمرو بن الأحوص حيث شهد عمرو حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤٣).

ثم تطرق إلى مسألة الكفاءة أي الدين والحال واستشهد بما في **المدونة** و **مختصر** الشيخ خليل بن عيسي عن غض البصر وحفظ الفرج لقوله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّوْا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوْا فُرُوْجَهُمْ**﴾ الآية. حيث صب جام غضبه على أهل زمانه حتى كأن الله لم ينزل آية الحجاب في كتابه العظيم أو استحسن الجميع سفور النساء وإبداء زينتهن بكل وقاحة وكل تكشف، حتى كدن يسرن عاريات ليس على أبدانهن شيء ساتر أصلا لاكتفائهن بثياب قصيرة ضيقة خفيفة واصفة للبشرة فصح أن يوصفن بما في حديث مسلم من كونهن كاسيات عاريات حيث نزل الحديث على ما يسمى بالموضة الجديدة.

ومن الملاحظ أن الشيخ محمد حبيب الله يرجع إلى الكتاب فقد قال في شرحه لحديث "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير" قال في **فتح الباري** لابن حجر

٤٣- انظر: **زاد المسلم**، ١٧١/٤.

العسقلاني: "وقد راجعت المنقول عن الشعبي في **تاريخ الإمام أحمد** ولفظه من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي: "أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة"(٤٤).

زاد المسلم واللؤلؤ والمرجان للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي:

التزم صاحب **اللؤلؤ والمرجان** بذكر حديث البخاري الذي يرى فيه الشيخ أنه أقرب النصوص انطباقا على نص الحديث الذي اتفق فيه مسلم معه، والموافقة "أي موافقة الحديث غير البخاري لما في حديث مسلم" قال عنها العلماء أقوالاً، فابن حجر رحمه الله تعالى صاحب **فتح الباري** قرر أن المراد بموافقة مسلم للبخاري، موافقته في تخريج أصل الحديث عن الصحابى، وإن وقعت بعض المخالفة في بعض السياق(٤٥).

بينما يرى الإمام النووي في شرحه **لصحيح مسلم**، لما وضع كتابه **الأربعون النووية** وابتدأ بحديث الأعمال بالنية، وأشار إليه أنه مما اتفق عليه الشيخان، لم يذكر أقرب نصوص البخاري إلى نص مسلم، بل ذكر أول نص أخرجه البخاري في **صحيحه**، وبينه وبين الحديث الذي أخرجه مسلم ببعض المخالفة في السياق.

حيث يرى الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي صعوبة ذلك، بل العناء والتعب الشديد في ذكر هذه المسألة وأن الحديث اتفق على إخراجه الشيخان حيث أن حديث النية أخرجه البخاري في **صحيحه** في عدة مواضع، ما وافقه فيها مسلم إلا في حديث واحد مع(٤٦) خلاف في السياق. وللشيخ محمد فؤاد عبد الباقي كتاب آخر سمّاه **قرة العين في أطراف الصحيحين**.

أما قيمة كتاب **اللؤلؤ والمرجان** فالكتاب جمع أعلى مراتب الصحيح، كما ذكر علماء المصطلح وعلى رأسهم ابن الصلاح حيث أشار إلى أن أعلى الصحيح ما اتفق عليه الشيخان، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم ثم ما كان على شرطهما ولم يخرجاه ثم ما كان على شرط

٤٤- **زاد المسلم**، ٤-٥٢٣.

٤٥- انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، **اللؤلؤ والمرجان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج١، ص ٥.

٤٦- المرجع نفسه، ج ١، ص ٥.

البخاري ولم يخرجه ثم ما كان على شرط مسلم ولم يخرجه، ثم ما كان على شرط غيرهما ممن التزم الصحة.

إذن قسم المتفق عليه هو من أعلى مراتب الصحيح وقد تلقته الأمة بالقبول، ومن هنا تأتي أهمية وقيمة الكتاب الذي جمع بين أعلى مصدرين صحةً، ألا وهما **صحيح البخاري** و**صحيح مسلم**.

وإذا قارنا بين **اللؤلؤ والمرجان** و **زاد المسلم** نجد أن عدد أحاديث **زاد المسلم** ١٣٦٨ حيث رتب الشيخ محمد حبيب الله أحاديثه على حروف المعجم حسب أوائلها مقتصراً على الأحاديث القولية، وختم إليها الأحاديث المصدرة بلفظ "كان" من شمائله صلى الله عليه وسلم، وكذا الأحاديث المصدرة بلفظ "نهى". بينما عدد أحاديث **اللؤلؤ والمرجان** ٢٠٠٦ أحاديث ؟؟ لها ٦٣٨ حديثاً.

أما من ناحية منهجية **اللؤلؤ والمرجان** فهو مرتب على ترتيب **صحيح مسلم** لأن مسلما من ناحية الترتيب والتبويب أجود من **صحيح البخاري**، مما جعل بعض علماء المغرب كأبي علي النيسابوري أن قدم **صحيح مسلم** على **صحيح البخاري**.

لذا جعل الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي كتابه مرتبا حسب ترتيب **صحيح مسلم** من المقدمة إلى كتاب التفسير، بل تحت كل كتاب أبواب.

ولقد فاق الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي في كتابه من ناحية الشرح والبيان والإيضاح والتعليق حيث شرح الأحاديث شرحا وافيا حيث ذكر معنى الحديث وتعرض لغريب اللغة، وسبب الحديث، إن كان للحديث سبب، بل استشهد بآيات القرآن والأحاديث الأخرى وشرح الحديث وبيّنه، بل يتناول الجوانب الفقهية، ويستشهد بأشعار العرب، وكثيراً ما يتناول أقوال الأئمة وخلافاتهم الفقهية خاصة رجال المذهب المالكي. بل يتعرض لأحوال زمانه في شرحه للحديث وبيانه. وأخيراً، يخرج الحديث ويذكر راويه وموضعه في الصحيحين من ناحية الكتاب والباب.

ففي بعض الأحاديث نجد اختصاراً بينما في أحاديث أخرى نجد شرحا مفصلا.

أما الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، فقد اختصر على شرح غريب الكلمات، حتى يبين للقارئ معنى الحديث، وذكر موضع الحديث داخل **صحيح البخاري** والكتاب وعنوانه والرقم والباب ورقمه. وأحيانا يشرح الحديث شرحا مختصرا دون خلل.

جزى الله خيراً الشيخين محمد حبيب الله الشنقيطي ومحمد فؤاد عبد الباقي، فقد أجادا وأفادا في مصنفيهما.

نجد عدد أجزاء **زاد المسلم** ٥ أجزاء وصفحاته في إحدى الطبعات ٢٥٩٦ بينما نجد عدد أجزاء **اللؤلؤ والمرجان** ثلاثة أجزاء وعدد الصفحات ٩٨٩ حيث كتابه بمقدمة موجزة يتكلم فيها عن التغليظ في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم شرع في كتاب الإيمان، وختمها بالتفسير.

بينما كتب الشنقيطي متن الحديث في بداية الصفحة ثم جعل الشرح في أسفلها، وسمّاه كتابا، ثم جعل التعليق في ذيل الصفحة أي ثلاثة كتب في كتاب واحد.

خاتمة ونتائج:

بعد هذه الجولة العلمية في كتاب **زاد المسلم** تبيّن الآتي:

عمق هذا الكتاب وإتقان صاحبه لعلوم شتى فنجد بداخل شرحه علم الغريب، ومناسبة الحديث وسببه، ومجموعة من الفتاوى العلمية الفقهية التي يحتاجها المسلم في حياته، وتعد له زادا عند مماته، حيث استشهد بآيات الذكر الحكيم والأحاديث وهي أحق ما يفسّر به الحديث.

وساق روايات عديدة مختلفة دلت على تبحر الشيخ في جمع الروايات، وتناول الكتاب أشعار العرب الفصيحة، إضافة إلى أشعار الشيخ نفسه.

والكتاب هو مرتب على حروف الهجاء، حيث يدخل في دائرة الكتب المعجمية، وكتب المفاتيح **كالجامع الصغير**، **والجامع الكبير**، ونجده من مصنفات تعمل على خدمة المصادر الأصلية للسنة النبوية، بل يسهل حصول الطالب على بغيته، إن كان حافظاً للمتن.

بجانب ذلك فالكتاب احتوى على مجموعة من التراجم، والتي لا غنى لطالب العلم عنها، لأنها ترجمت للأصحاب رضي الله عنهم وهو وإن لم يكن مبوبا على الكتب والأبواب، يتعذر للشيخ ويضم لدائرة كتب المفاتيح التي لا تقل شأنا عن غيرها، في تحصيل بغية الطالب.

بجانب ذلك حوى الكتاب فوائد وفرائد، وقضايا عصرية وقعت في زمان الشيخ، فتناولها في أثناء شرحه للأحاديث مبينا لها كقضية الموضة الجديدة، خروج النساء كاسيات عاريات، وقضية التوسل والوسيلة من مسائل العقيدة، ومسائل الطلاق والنكاح وغيره من أشياء لا غنى للمسلم عنها.

كما يستفاد من حياة الشيخ، رحلاته ومشاقها من ديار بني شنقيط إلى المغرب والجزائر إلى بلاد الحجاز المملكة العربية السعودية متنقلا بين مكة والمدينة إلى مقره الأخير الأزهر الشريف قبلة العلم وأهله، حيث درس في كلية أصول الدين.و يستفاد منه تعب العالم في سبيل تلقي العلم وطلبه ونشره.

وجهاد هذا الشيخ وكتابه لعدد من المؤلفات العلمية المفيدة، نسأل الله أن تدخل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له".

خدمة الشيخ للصحيحين: نلحظ من ذلك جهود الشيخ العلمية التي بذلها خدمة لسنّة المصطفى صلى الله عليه وسلم في زمانه تدريسا وتأليفا وإجازة. وبعد ذلك من باب الذب عن السنة والدفاع عنها ونشرها ورفع لوائها وذم البدعة وتنفير عنها.

نلحظ من كثرة دعائه وتضرعه عند نهاية كل حديث بأن يتوفاه الله في المدينة وأن يدفن في جوار المصطفى محبته للنبي صلى الله عليه وسلم محبة قلبية شديدة مصداقا لقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللّهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللّهُ**﴾ ومصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به". ولحديث: "ولا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ووالده والناس أجمعين".

ومن تقاريظ العلماء التي كتبوها في آخر كتاب **زاد المسلم** نجد تعليقات لطبقة دلت على شهادة هؤلاء الأعلام على صاحب الكتاب والكتاب وهي بمثابة التعديل والثناء الجميل.

نسأل الله تعالى أن يتقبّل الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي بقبول حسن ويجعله في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا بقدر ما قدم لهذه الأمة من علوم وفهوم وأن يجزيه عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الجزاء، آمين.

* * * *